**الأمة - محاضرة جديدة**

الأمة شعور معنوي و حالة نفسية و حقيقة حضارية تسمو كمعنى و كواقع فوق العديد من المفاهيم التي ألفناه كالدولة و المجتمع و النظام و السلطة , فعبر التاريخ زالت دول و أنظمة لكن بقيت أمم ثابتة و مستمرة تجتمع داخلها عناصر الدم و الدين والأصل والجغرافيا و اللغة و الجنس التي تشكل مبادئ الانتماء و الوفاء بصورة متراكمة عبر الأحداث و الرموز و الشخصيات التي يتفق الناس بشكل موحد و جامع لهم , في منطقة ما على أهميتها و دورها و تأثيرها في وعيهم و شعورهم و هو ما ينتج تفاعلا عميقا نبني عليه أحاسيس و سلوكات و قرارات , فحتى خلال الخطابات السياسية الرسمية وقت الأزمات الكبرى و خلال اللحظات التاريخية الحاسمة تجد القادة يتجهون نحو شعوبهم بمسمى الأمة لإستهداف كيانهم المعنوي من الداخل في مواجهة التحديات و الإكراهات المحيطة بهم , ولعل الألمان شكلوا عبر الزمان و المكان قيمة كبرى في إطار الأمة كتراث و كتاريخ تمظهر فلسفة و شعرا و أدبا و حضارة لقرون طويلة لأن الأمة لا تظهر فجأة بل هي تطور تاريخي يحقق رضا الأفراد و يشعرهم بالعلاقة الخاصة التي تربطهم بتراب و تراث عبر أجيال . وحتى القرآن الكريم تناول و تداول هذا المفهوم في مختلف الآيات و السور التي تحدث عن الأمة أكثر من الدولة لمركزية هذا المفهوم في النص القرآني : "كنتم خير أمة أخرجت للناس " أو "كان إبراهيم أمة " فالأمة تقع على إتفاق الأفراد نحو ما يجمعهم حيال كيان ما لعوامل دينية و عصبية و تراثية تحققت مع مر الأزمنة و عليه كانت الأمة رباط معنوي يجمع كتلة من المشاعر و الأحاسيس لدى الأفراد حيال ماضيهم و تاريخهم و قيمهم و معاييرهم و منه مستقبلهم متى توفر الوفاء و الإنتماء داخلهم خاصة وقت الحروب و الأزمات الكبرى التي توقظ في الأمم أسباب التحدي و البقاء و الوجود وهو ما كشفه التاريخ لنا في محطات كثيرة حبلى بمستويات تحليل الأمة بمختلف الأبعاد , و الحقيقة أنه ما كانت الحياة تستمر سياسة و إقتصادا و تنمية لولا شرط الأمة فمبدأ التدافع كسنة ربانية في خلقه يكون من خلال فعل و رد فعل أمم سابقة و حالية و لاحقة في حروب و سلم و خصومة و عداوة فصداقة و تعاون وذلك كله في منظور الغالب و المغلوب و كأنها دورة الحضارة التي تنتج قيما و أنساق و رؤى تختلف بإختلاف الأمم فيما بينها , ولعل من أهم المفكرين في نطاق الحضارة و الأمة نجد عبد الرحمن بن خلدون و مالك بن نبي و أرنولد توينبي و علي شريعتي و غيرهم من المهتمين بمدلول و مفعول الأمة في هندسة الحضارة البشرية في الهند أو الصين أو مصر و فارس و روما قديما و أروبا و الولايات المتحدة الأمريكية و أمم أخرى حاليا و بين القديم و الجديد صراع سياسي و فكري ووجودي بأدوات مختلفة تتطور عبر التاريخ , ولهذا كان الإطار المفاهيمي (وهو ما يهمنا تحديدا) للأمة واسعا و شاملا لنواحي مجتمعية و سياسية و انثروبولوجية و أخلاقية و قانونية نالت إهتمام الباحثين في علم الإجتماع السياسي كموضوع دراسة و بؤرة توتر مازال مفتوحا للنقاش و البناء لحيويته و أهميته في فهم تحولات المجتمعات و الشعوب و طبيعة تفاعلها مع اسئلة الواقع و حقيقة المستقبل على عدة أصعدة لعل من أهمها , الهوية و الثقافة و الشخصية فمتى نجحت الأمم في حل هذه المسائل بشكل شامل تمت عمليات التنمية و التقدم بشكل سلس و إيجابي و تحقق للإنسان مبدأ التمكين لذاته و لحقيقته في الجغرافيا و التاريخ كجزء منه وهو ما تحقق للمجتمعات المتقدمة التي نجحت في الوصول لهذه الغاية بعد مسارات معقدة و طويلة عبر قادة و مشاريع ادت إلى الإستقرار و التطور في الأخير و يجب علينا كباحثين الإحاطة العميقة بذلك لفهم واقعنا و تحدياته و تدبير سبل مواجهة مشاكلنا بمخاطبة أنفسنا و إستبصار آفاقنا موضوعيا و علميا .

د عكنوش